



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2021-04-25

تاريخ القبول: 2021-06-10

الحوار آلية للإقناع في الخطاب الصوفي - النورسي أنموذجاً

*The Dialogue as a mechanism for persuasion
in the mystic discourse Sample of el Nawrassi*

هشام فزوم

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

جامعة الشاذلي بن جديد (الجزائر)، hichamferroum@gmail.com

الملخص:

أصبح الحوار ضرورة ماسة يقتضيها التعدد اللغوي والتنوع الثقافي واختلاف المصالح الاقتصادية والسياسية بين الأمم، وأضحى اللجوء إليه أساسيا لحل المشاكل والأزمات الدولية العديدة وإدارة الصراعات الحضارية القائمة وتدبير الاختلافات الداخلية والخارجية. ومن هنا هذه العبارات العديدة التي أصبح استعمالها رائجا في عصرنا هذا من قبيل: حوار الحضارات، حوار الشمال والجنوب، الحوار الإسلامي المسيحي، الحوار العربي الأوربي، الحوار الاجتماعي، المفاوضات وغيرها. فحيث يكون الاختلاف والصراع والصدام والنزاع، ينبغي أن يكون الحوار والنقاش والتفاوض والإقناع.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الحجاج، الإقناع، الحوار البيداغوجي، التواصل،

ABSTRACT

Dialogue became essential and necessary for multilingualism, cultural diversity and the different economic and political interests of nations. It was a particular step to solve many international problems and crises, manage the civilizational conflicts and manage internal and external differences. From that many terms emerged and became popular in our time like: the dialogue of civilizations, the North-South dialogue, the Islamic-Christian dialogue, the Arab-European dialogue, the social dialogue, negotiations and others. Where disagreement, conflict...are there; the dialogue, discussion, negotiation and persuasion should be use and play the role.

Keywords : Dialogue ; argumentation ; persuasion ; pedagogic dialogue ; communication ;

1. مقدمة:

في عصر أبرز ميزاته السرعة والتطور المذهل في كافة مجالات الحياة البشرية؛ فإنّ عملية الاتصال والتواصل والتبليغ مضامين الخطاب تقتضي أكثر من أيّ وقت مضى مسايرة هذا الرقي؛ لأنّها وسيلة انتشار هذا التطور وبلوغ مراميّه بكلّ ما يحمل من سمات ماديّة ومعنويّة.

ولما كانت اللّغة -خاصيّة البشر- الركيزة الأساس والمنطلق الأسمى في عمليّة الاتصال والتّواصل والتّبليغ لدى هذا المخلوق المكرّم؛ فإنّه مُطالب بالسّعي الحثيث لتطوير أساليب اتّصاله وتواصله وتحذير أشكال تعبيره لتضاهي روح العصر سرعةً في التّبليغ، وُسرّاً في الفهم والاستيعاب، وتأثراً بالمضامين، وتأثيراً في المتلقّي لهذه المضامين، وبذلك يمارس الإنسان إنسانيّته مُستجلاً بذلك تواصلاً ينقل من خلاله ركّام الحضارة الإنسانيّة بتعاقب الأجيال بأرقى وسائل التّعبير، مع الحفاظ على هويّته الحضاريّة من الدّبول والدّويان.

ويعدّ الأسلوب الحواريّ من ضرورات الكلام في مستواه النفعيّ الذي يتواصل به النّاس، ومن ثمّ اكتسب أهميةً وقيمةً جماليّة بالغة فطن لها أهل اللغة والنقد والبلاغة، بسبب ما ينضوي عليه من مهارات تحقّق التأثير والإقناع والاستمالة.

الحوار فعالية خطابية، وهو الأصل في الكلام، ولأهميته وفوائده الكبرى في تحقيق التواصل والتفاعل وحلّ المشاكل وتدبير الاختلاف، فقد اتّخذ النُّورسيّ -رحمه الله- أسلوباً في الحياة للتواصل مع الآخر وحلّ المشاكل وتدبير الاختلافات. حيث اشتملت رسائله النورانية على محاورات عديدة أجراها مع فئات وطوائف بشريّة وأصحاب ديانات توحيدية تختلف معه فكرياً أو عقدياً أو ثقافياً مركزاً دائماً على عناصر الوحدة والاتفاق، وكأني به يطبق قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران، آ ٦٤]، وقوله عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت، آ ٤٦]. وعليه فالإشكالية التي توجّهنا هي:

ما علاقة الحوار بالحجاج والإقناع والاختلاف؟ كيف نتعامل مع الاختلاف بكل أنواعه وأنماطه؟ وكيف نواجه المشاكل والأزمات الداخلية والخارجية؟ هل نواجهها بالإقناع والتواصل والتحاور، أم نواجهها بالتقاطع والتناهد؟ هل كان النُّورسيّ رجل حوار وإقناع؟

2. الحوار في المتنوي العربي النوري:

وقبل الخوض في تفاصيل الموضوع يجب الإشارة إلى نقطة مهمة للغاية وهي أن النُّورسيّ كان رجلاً قرانياً وكان منهجه هو منهج القرآن، وإذا كان القرآن الكريم قد عني عناية فائقة بالحوار، فكيف لا يكون النُّورسيّ رجل حوار، وكيف لا تكون رسالة النور حوارية في منهجها وأسلوبها وهي تفسير قيم للقران الكريم.

إن المرجعية القرآنية والحديثية، حاضرة في فكر النورسي حضورا قويا وبارزا، نكاد نلمسها في كل قول وفي كل شرح أو تفسير.

إن الذي يدرس "المثنوي العربي النوري" بعمق وتمعن يتوصل إلى النتائج التالية: (العزاوي، ٢٠١٤)

أ- "المثنوي العربي النوري" بنية حوارية واضحة، إنه بعبارة أخرى، مجموعة من الحوارات المباشرة وغير المباشرة، الحوارات الصريحة أو المضمرّة، الحوارات المنحرفة الفعلية أو المفترضة المتخيلة.

ب- الحوار في "المثنوي العربي النوري" له أشكال عديدة وأنماط متنوعة، فقد جاء تارة على شكل مناجاة أو مونولوج Monologue (حوار مع النفس)، وجاء تارة أخرى على شكل مكاتيب ومراسلات مع الطلاب. وقد جاء أيضا على شكل مناظرة أو مناقشة أو نقد أو جواب عن أسئلة.

ج- اشتمل "المثنوي العربي النوري" على معجم حوار غني. فنحن نجد فيها مصطلحات كثيرة من قبيل: الحوار، والمخاطبة، والنقاش، والجدال، والمناقشة، والمناظرة، والمذاكرة، والإقناع، والافتناع، والمناجاة، والتشاور، والرسائل، والمكاتيب، والأسئلة والأجوبة، والخطاب، إلى غير ذلك.

د- المؤشرات الحوارية التي تدل دلالة أكيدة على أن "المثنوي العربي النوري" هو مجموعة من الحوارات كثيرة ومتنوعة:

- هناك مجموعة من العبارات أو على الأصح مجموعة من العناوين الفرعية الداخلية التي ترد في بداية بعض الفقرات أو الباحث من قبيل: حوار في رؤيا، وحوار مع الشخصية المعنوية لأوروبا، وحوار مع المؤنات أخوات الآخرة، وحوار مع النفس، وحوار مع فريق من الشباب، ومحاورة مع نفسي، ومحاورة مع وزير العدل والحكام الذين لهم علاقة بمضمون المثنوي ورسائل النور بصفة عامة، وخطاب إلى أوروبا، وخطاب إلى الذين يغالون في العنصرية... الخ
- العبارات الإشارية الإحالية، أي الضمائر وظروف الزمان والمكان، وأيضا لفظة القول بمشتقاتها، وألفاظ أخرى من قبيل: تعلموا، تعلمون، وتعابير مثل: إخواني الأعزاء، أخي العزيز المحترم، أيها الإنسان ويا نفسي... الخ (العزاوي، ٢٠١٤)

إن اعتماد النورسي لأسلوب الحوار كان بهدف استمالة المتلقين وإقناعهم خاصة في هذه الفترة التي تشهد ضجيجًا كبيرًا حول ما يسمى "صراع الحضارات"، وفرض أنماط معيّنة من الثقافات تحت ستار "العولمة". وبالتالي كشف البون الشاسع بين المنهج الإسلامي في التعامل مع الآخر تحت شعار "لا إكراه في الدين" وبين "العولمة" الحالية التي تريد إلغاء الآخر وتذويب الثقافات الأخرى، مستخدمة في ذلك الإكراه الإعلامي والاقتصادي والعسكري. يقول النورسي -رحمه الله- في هذا الشأن: "الإقناع هو الوسيلة الوحيدة للتغلب على المدنيين وليس بالإكراه والقوة وكأنهم وحوش" (النورسي، ١٩٩٤).

لقد أصبح الحوار في أيامنا هذه أكثر من أي وقت مضى من القضايا والمواضيع الهامة لحلّ المشاكل العالقة أو الخائنة سواء على الصعيد الداخلي في مجتمع واحد، أو على الصعيد الخارجي في العلاقات القائمة بين مختلف الحضارات والثقافات. فالحوار يظلّ مطلبًا لا غنى عنه للإنسانية جمعاء، إذا ما أرادت أن تعيش بمنأى عن الخلافات والصراعات،

كما أنّ الحوار هو المنهج الصحيح للتوصل إلى التعارف الضروريّ للتفاهم والتّعايش السّلميّ والتّعاون بين الأمم والشّعوب. وفيما يلي يمكن أن نورد نماذج من هذه الحوارات التي يزخر بها "المثنويّ العربيّ النورسيّ":

1.2 النموذج الأوّل: محاورته للحضارة الغربيّة:

من القضايا الهامّة التي طرحت في الكثير من الأوساط الفكرية والثقافية وشغلت بال كثير من المثقّفين والعلماء والمفكرين والإمام سعيد النورسيّ -رحمه الله- كان واحدا منهم طبيعة العلاقة بين العالم الإسلاميّ والغرب، والأسس التي يجب أن تبنى عليها تلك العلاقة؛ إذ يجب أن تكون العلاقة بينهما مبنية على أساس التفاهم والتّعايش والحوار بل وحتىّ التعاون وتبادل الخبرات والمنافع.

وهذا هو الأساس الذي يمكن أن يتخذ منه منطلقاً لتحديد نوعية العلاقة بين الأفراد داخل المجتمع الواحد أو حتىّ داخل الأسرة الواحدة، وبين الإسلام والحضارات الأخرى لاسيّما الغربيّة. فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الممتحنة، ٨٢].

يقول النورسيّ -رحمه الله-: "يجب أن لا ننظر للأجانب نظرة عدا، بل ربّما يتوجّب علينا أن ننظر إليهم كأصدقاء ومساعدين؛ لأنّهم أصبحوا وسيلة لسعادتنا ولإعلاء كلمة الله في هذا الزّمان لكونهم وسطاء لرفقنا ومشوّقين بل حتىّ مجبرين لنا لاكتساب المدنيّة" (النورسي، آثار بديعية، ١٩٩٤).

لقد بيّن النورسيّ في كلامه هذا موقفه تجاه الشعوب الأخرى بكلّ وضوح وجرأة، ولم يكتف برفض فكرة العدا للأجانب والشّعوب الأخرى، بل دعا إلى تكوين العلاقة معهم على أساس الصّدقة والاحترام لكونهم قد أفادوا المسلمين في اكتساب المدنيّة والتطوّر العلميّ والتقنيّ وما إلى ذلك، فنحن يجب ألا نبخس النّاس أشياءهم لأنّ ذلك يعدّ نوعاً من أنواع الظلم الذي ينهانا الإسلام عنه أشدّ التّهي.

يقول النورسيّ: "ومدنيّة المؤمنين باطنها أعلى من ظاهرها، ومعناها أتمّ من صورتها، في جوفها أنسيّة وتحبّ وتعاون، والسرّ: أنّ المؤمن بسرّ الإيمان والتوحيد يرى أخوة بين كلّ الكائنات، وأنسيّة وتحبّ بين أجزائها، لاسيّما بين الآدميين، ولاسيّما بين المؤمنين، ويرى أخوة في الأصل والمبدأ والماضي، وتلاقياً في المنتهى، والنتيجة في المستقبل" (النورسي، المثنوي العربي النورسي، ١٩٩٤).

إنّ النورسيّ كثيراً ما يتحدّث عن الأخوة الإنسانيّة القائمة بين كافة بني البشر منطلقاً من قوله صلّى الله عليه وسلّم: "كلّكم لآدم وآدم من تراب"، وبناء عليه فإنّ تلك الأخوة توجب على أولئك الإخوة أن يعطوا تلك الأخوة حقّها، وأن يعيشوا مع بعضهم البعض في حبّ ووثام وسلام رغم اختلاف العقائد والأديان، وحتىّ هذه الاختلافات يمكن أن نتحاور معاً حولها بأسلوب لبيّن وهادئ دون اللّجوء إلى سفك الدماء وانتهاك الأعراض والحرّمات، وإكراه بعضنا

البعض على تغيير معتقداته الدّينيّة، وفي هذا الصّدّد يقول أيضا: "وأسلوبنا مع غير المسلمين قائم على الإقناع ذلك لأنّنا نعرف أنّهم أشخاص مديّون لذا يجب إظهار الإسلام بشكل محبوب وبشكل سام" (النورسي، آثار بديعية، ١٩٩٤).

ولا يظنّ ظانّ أنّ نظرة النّورسيّ إلى الغرب وحضارته نظرة إيجابيّة في مجملها، بل نجده يفرّق بين الضّار والنّافع في الحضارة الغربيّة إذ يقسّم أوروبا أوروبتان نافعة وضارة.

يقول: "...إنّ أوروبا اثنتان: أحدهما نافع للبشر باستفادته من الدّين العيسويّ والمدنيّة الإسلاميّة،...وأوروبا الثّاني: خالف الأديان السّماويّة، واستند بالفلسفة الطّبيعيّة الماديّة، وغلبت سيّئات المدنيّة حسناتها، وصار سببا لمشقّة أكثر البشر وشقاوتهم" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

ويقول كذلك في اللّمة السّابعة عشرة من كتابه اللّمعات: "ولعلّ يساء الفهم لا بدّ أن ننبّه أنّ أوروبا اثنتان: أحدهما: هي أوروبا النّافعة للبشريّة بما استفادست من النّصرانيّة الحقّة وأدّت خدمات حياة الإنسان الاجتماعيّة بما توصّلت إليه من صناعات وعلوم تخدم العدل والإنصاف فلا أخاطب في هذه المحاوره هذا القسم من أوروبّا، وإنّما أخاطب أوروبا الثّانيّة: تلك الّتي تعقّنت بظلمات الفلسفة الطّبيعيّة وفسدت بالماديّة الجاسيّة، وحسبت سيّئات الحضارة حسنات لها، وتوهّمت مساوئها فضائل فساخت البشريّة إلى السّفاهة وأردتها الضّلالة والتّعاسة" (النورسي، كليات رسائل النور - اللّمعات، ١٩٩٤).

يرى النّورسيّ أنّه لا بأس من أن يستفيد المسلمون من التّقدّم العلميّ والتّكنولوجيّ والمخترعات الّتي اخترعتها أوروبا النّافعة، بل يحثّ المسلمين لكي يسلكوا مسلكهم في ذلك، بل والتّفوّق عليهم إن أمكن بأخذ الأسباب الموصلة إلى ذلك. أمّا التشبّث بقشور الحضارة الأوروبيّة واتباعهم في الأمور السّليبيّة والّتي لا مصلحة لهم فيها فيرفضها ويحدّر من التّقرب منها.

يقول النّورسيّ مخاطبا أوروبا الثّانيّة: "...اعلم! يا أيّها الأوروبّا، إنّك أخذت بيمينك الفلسفة المضلّة السّقيمة، ويسارك المدنيّة المضرة السّفهيّة، تدّعي أنّ سعادة البشر بهما، شلّت يدك، وبئست هدايتك" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

ويقول: "...فيا أوروبا الّتي نأت عن النّصرانيّة وابتعدت عنها، وانغمست في السّفاهة والضّلالة، لقد أهديت بدعائك الأعور كاللّذّجال لروح البشر حالة جهنميّة، ثم أدركت أنّ هذه الحالة داء عضال لا دواء له؛ إذ يهوي بالإنسان من ذرّة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج لك أمام هذا الدّاء الويل إلاّ ملاهيك الجذّابة الّتي تدفع إلى إبطال الحسّ، وتحذير الشّعور مؤقّتا... فتعسا لك ولدوائك الّذي يكون هو القاضي عليك... نعم إنّ ما فتحتيه أمام البشريّة من طريق يشبه هذا المثل المذكور" (النورسي، كليات رسائل النور - اللّمعات، ١٩٩٤).

وتتوالى محاورات النُورسيّ لأوروبا في "المثنويّ العربيّ النوريّ" من مثل قوله: "ألا يا ناشر الكفر والكفران! هل يمكن لمن أصيب في قلبه وعقله ووجدانه وروحه بمصائب هائلة، السعادة بكونه في ذروة الوفاء والزينة بجسمه؟ ألا ترى أن من انكسر خياله أو خاب من أمل وهمي أو انقطع رجاؤه من أمر جزئي كيف يمرّ له الحلو ويعذبّه اللذيذ وتضيق عليه الدنيا؟..." (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤). ويواصل محاورته في مقطع آخر: "فيا أوروبا أهديت بدهائك الأعور لروح البشر هذه الحالة الجهنميّة، ثمّ تفتنت لهذا الداء العضال دواءً إبطال الحسن في الجملة، وهو الملاهي الجذابة والهوسات الجلابة. فتعسا لك ولدوائك" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤). ويقول في نص آخر: "فيا أوروبا تزعم أنّ كلّ ذي حياة من أصغر السمك إلى أكبر الملك مالك لنفسه ويعمل لذاته وإثما يسعى لذته، له حق حياة وغاية همته حفظ البقاء" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

هكذا حاول النُورسيّ تقريب الصّورة التي آلت إليها الأوضاع في أوروبا الثّانية نتيجة خروجها وتمزّدها على كلّ الديانات، وخاصّة الديانة النصرانيّة بمبادئها الدّاعية إلى الرحمة والشفقة وحسن الحوار وصلة الرّحم. داعيا إياها إلى مراجعة نفسها وللقيام بنقد ذاتي تكون الغاية منه العمل على إسعاد الإنسان روحاً وجسمًا.

إنّ نظرة النُورسيّ إلى المسألة الغربيّة اتسمت بالموضوعيّة والتجرّد والوضوح؛ إذ إنّ نظريته تجاوزت الرّضوخ لظروف الزّمان وتجاوزت استحضار تقلّبات المكان والتأثّر بها. فعلى الرّغم من الطّروف النّفسيّة العويصة الصّعبة التي كانت الأمة الإسلاميّة تمرّ بها آنذاك. وعلى الرّغم من سيطرة الشّعور بالهزيمة واليأس لدى البعض، واستيلاء الشّعور بالانبهار والانخداع لدى البعض الآخر؛ فإنّ النُورسيّ أبى ألا تكون نظريته أسيرة لأيّ من هذين الشّعورين المتأثرين بظروف الزّمان والمكان والأحوال السّائدة. فهو لم يهدف لا لإرضاء العامّة ولا للتزلف إلى رجل الحكم، فالغرب في نظره ليس كلّ شرّاً وليس كلّ خيراً.

وصفوة القول - كما يرى النُورسيّ - إذا أراد العالم الإسلاميّ اليوم الإسهام في بناء عالم آمن مسالم متحاب ومتربط، فإنّه حرّيّ بنا إعادة النّظر في علاقاتنا مع الآخرين، وجعل الإيمان بالتعددية والتنوّع قاعدة إيمانيّة لا نخيد عنها، بل نبني عليها الجسور مع أتباع الديانات الأخرى، وخاصّة منها الديانات السّماويّة، فلا بد من الانفتاح على هذه الديانات والتواصل معها لمصلحة الإنسانيّة مع وضع هذه العلاقة (إسلام - غرب) في إطارها الصّحيح بعيداً عن صهر الإسلام في بوتقة الحضارة الغربيّة وتبعيّة لها كما يريد البعض، بل يجب أن تكون العلاقة على أساس التّفاهم والحوار والتّعاون والتّلاقح الحضاريّ وفي ذلك مصلحة للطرفين. علماً أنّ الهدف الرّئيسي من الحوار إقناع الغرب بشبائيّة الإسلام وصلاحه للبشريّة أبد الدّهر، إذ هو دين الله الخالد. مع الاعتراف أنّ الغربيّ بشكل عام عنيد في خصامه: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتّى تتبّع ملّتهم، قل: إنّ هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم، مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ [البقرة، ١٢٠].

غير أنّ منهم من يستجيب للحقّ الذي في الحوار: ﴿ليسوا سواء﴾ [آل عمران، ١١٣] ومنهم من يؤس من دينه، ويبحث عن الحقيقة في دين سماويّ يعتنقه، فلنحتجّر هؤلاء بالتّقاش، ولنعرّض عن المعاندين الذين لا طائل وراءهم:

﴿وأعرض عن المشركين﴾ [الحجر، آ ٩٤]، ولنا في تحوّل العقلاء في العالم الغربي إلى الإسلام، وهم اليوم بعشرات الملايين، الأمل في نتائج هذا الحوار الذي يدعو إليه التُّورسِيّ: ﴿ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾ [التوبة، ٣٢]، ولكن علينا أن نعدّ لهذا الحوار العلم الواسع بالدينين والحضارتين وواقعتهما، مع الجهد والصبر الذي لا يقدر عليه إلا من وقف حياته على نشر الإسلام، والسبيل بعد هذا العزم الصّارم واضحة : (إذا صدق العزم فقد وضح السبيل). ﴿والله غالب على أمره، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف، ٢١].

2.2 النموذج الثاني: محاورته للقائد التُّورسِيّ:

لم يقتصر التُّورسِيّ -رحمه الله- على هذا الحدّ فقط من الحوارات، بل تنوّعت محاوراته وتعددت نماذجه وجاءت في مواضيع كثيرة أهمّها: حوار الإنسان مع نفسه وحواره مع الإنسان.

وبحسن مثالا لذلك التذكير بحادث وقع للأستاذ مع خال القيصر التُّورسِيّ القائد العام للجبهة التُّورسِيّة نيكولا نيكولا فيج الذي كان يزور معسكر الأسرى الذي اعتقل فيه الإمام -رحمه الله- إبان الحرب، فقام جميع الأسرى لأداء التحيّة ما عدا سعيداً التُّورسِيّ -رحمه الله-، فلاحظ القائد العام ذلك ورجع مرّ ثانية أمامه فلم يقم له كذلك، وفي المرّة الثالثة وقف أمامه وجرى الحوار الآتي بينهما بواسطة مترجم القائد:

- القائد: الظاهر أنّك لم تعرفني.
- التُّورسِيّ: بل لقد عرفتك، إنّك نيكولا نيكولا فيج خال القيصر والقائد العام في جبهة القفاقس.
- إذن فلم تستهن بي؟
- كلا، إنّني لم أستهن بأحد، وإنّما فعلت ما تأمرني به عقيدتي.
- وماذا تأمرك عقيدتك؟
- إنّني عالم مسلم، أحمل في قلبي إيماناً، والذي يحمل في قلبه إيماناً هو أفضل من الذي لا إيمان له. ولو أنّي قمت لك لكنت قليل الاحترام لعقيدتي، كذلك فإنّني لم أقم.
- واعتبر القائد كلام التُّورسِيّ وصفه بعدم الإيمان إهانة له ولجيشه، بل وللقيصر، وأمر بتشكيل محكمة عسكرية للنظر في الأمر، وتشكّلت المحكمة، وقدم إليها التُّورسِيّ -رحمه الله- بالتهم التي بدت للقائد التُّورسِيّ. وقد ألحّ الأسرى من الأتراك والألمان والتّمساويين عليه بالاعتذار لكنّه رفض بإصرار.
- وتصدر المحكمة قرارها بالإعدام ويحضر في يوم التنفيذ ثلّة من الجند على رأسهم ضابط روسيّ لتنفيذ الحكم، فيطلب التُّورسِيّ -رحمه الله- مهلة لأداء واجب أخير ثمّ يقوم فيتوضّأ ويصلّي ركعتين. وهنا يأتي القائد العام ليقول له بعد فراغه من الصّلاة.

- أرجو منك المعذرة، كنت أظنّك قد قمت بعملك قاصداً إهانتني ولكنّي واثق الآن أنّك تنقذ ما تأمر به عقيدتك وإيمانك، لذا فقد أبطلت قرار المحكمة.

إنّ خطاب الأئمة الإسلامية اليوم هو أحوج ما يكون إلى المضي في اتجاه التأكيد على القيم والمبادئ وثباتها وقدرتها على إقامة صرح حضارة عظيمة. وذلك هو بداية إدراك الخصوصية الثقافية والحضارية للأمة وامتلاكها لنموذجها الذي به تنظر إلى غيرها وعلى أساسه تحاوره كما حدث مع النورسي. أمّا الحديث عن مظاهر التسامح في الحضارة الإسلامية والذي أصبح اليوم يتخذ شكل دفاع عن النفس ومحاولة لتبرئة الذات من ذنب متوهم، فقد يصير في بعض المناسبات واللقاءات خاصة منها تلك الفكرية والأكاديمية التي يلتقي فيها النخبة من العلماء والدارسين أشبه ببيع الماء في حارة السقائين، أو الذي يحمل التمر إلى حجر كما يقال. فما أحوج هذا الجهد إلى المضي في اتجاه التأسيس والبناء بدل استنفاذه في معارك التبرير والدفاع.

٣.٢ النموذج الثالث: محاورته لبطريك الروم:

هذا الحوار الذي أجراه الإمام النورسي - رحمه الله - مع بطريك الروم أثينا غوراس سنة ١٩٥٣ كان بمناسبة الاحتفال الذي أقيم بإستانبول بمرور خمسمائة عام على فتحها وقد كان هذا الحوار فرصة للطرفين لإيجاد سبل تعاون بين مسلمي تركيا ومسيحييها لمواجهة الموجة الإلحادية المعادية التي بدأت تغزو تركيا إبان حكم مصطفى كمال أتاتورك. وهذا نصّ الحوار:

- سعيد النورسي: يمكن أن تكونوا من أهل النجاة يوم القيامة إذا آمنتم بالدين النصرائي الحق بشرط الاعتراف بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالاعتراف بالقرآن الكريم كتاباً من عند الله.
- البطريك: إنني أعترف بذلك.
- سعيد النورسي: حسناً، فهل تعلنون ذلك أمام الرؤساء الروحانيين الآخرين؟
- البطريك: أجل إنني أقول ذلك ولكنهم لا يقبلون.

فالنورسي يحاور من خلال بطريك الروم أصحاب النصراية الحقيقية مركّزا على عناصر الوحدة والاتفاق كمحاولة أولى لتمهيد الطريق لإسلام أمثال هؤلاء وما قد يتبعه من إسلام الكثير من النصاري نظرا لقيمة من يحاور في نظر قومه، وكأنيّ به - رحمه الله - يطبق قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران، آ ٦٤]. وقوله عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت، آ ٤٦].

كما بادر النورسي في نفس الاتجاه بإرسال مجموعة من أعماله إلى البابا بيوس الثاني عشر في الفاتيكان واستلم جوابا منه في ٢٢ شباط ١٩٥١ في مرحلة كانت العلاقات بين الفاتيكان والمسلمين متوترة جدا، وكان ذلك سببا لإعلان الفاتيكان احترامه وتقديره للإسلام والمسلمين.

كلّ هذه المحاولات من طرف الإمام لتقريب صورة الإسلام الحقيقية لغير المسلمين كان لاقتناعه الثابت ولعلمه المسبق أنّ أكثر المعتنقين للإسلام في عمر التاريخ أسلموا عن طريق القدوة الحسنة والحوار الفردي الهادئ البناء لاسيما في صدر الإسلام وزمن الفتوحات العثمانية، "فلأن يهدي الله بك مؤمنا خير لك من حُمُر النعم" [متفق عليه].

ثم إنه كان يأخذ بمنطق الأولويات وبمبدأ السياق، فحاور أوروبا النافعة وحاور النصرانية الحقّة وحاور المدنيين من غير المسلمين مستندا إلى الدليل العقلي والنقلي، ومستندا إلى الحجاج وقوة الإقناع.

ثمّ إننا وجدنا التّورسيّ يضع لنا قواعد الحوار والمناقشة وضوابطهما بعد أن أثّر نقاش وجدال حول صحة أحد الأحاديث. يقول: "إن الشرط الأول في مناقشة هذه المسائل وأمثالها هو: أن تكون المذاكرة في جو من الإنصاف وأن تجري بنية الوصول إلى الحق.. وبصورة لا تتسم بالعناد.. وبين من هم أهل للمناقشة.. دون أن تكون وسيلة لسوء الفهم وسوء التلقي. فضمن هذه الشروط قد تكون مناقشة هذه المسألة وما شابهها جائزة. أما الدليل على أن المناقشة هي في سبيل الوصول إلى الحق فهو: ألا يحمل المناقش شيئا في قلبه.. ولا يتألم ولا ينفعل إذا ما ظهر الحق على لسان الطرف المخالف له، بل عليه الرضا والاطمئنان؛ إذ قد تعلم ما كان يجهله، فلو ظهر الحق على لسانه لما ازداد علما وربما أصابه الغرور. ثانيا: إن كان موضوع المناقشة حديثا شريفا فينبغي معرفة مراتب الحديث والإحاطة بدرجات الوحي الضمني وأقسام الكلام النبوي. ولا يجوز لأحد مناقشة مشكلات الحديث بين العوام من الناس.. ولا الدفاع عن رأيه إظهارا للتفوق على الآخرين ولا البحث عن أدلة ترجح رأيه وتنمي غروره على الحق والإنصاف" (النورسي، كليات رسائل النور- المكتوبات، ١٩٩٤).

وقد اقترح النورسي في النص السابق مجموعة من القواعد الحوارية نذكر بعضها -بعد إعادة صياغتها- على سبيل التمثيل:

أ - قاعدة الشمولية: ونجدها في قوله (ينبغي معرفة مراتب الحديث... والإحاطة بدرجات الوحي الضمني وأقسام الكلام النبوي).

ب- قاعدة التأدب: فالمناقشة ينبغي ألا تتسم بالعناد، وأن تجري في جو من الإنصاف.

ج- قاعدة الورد أو المناسبة: أن تكون المذاكرة في المسائل المتخصصة بين من هم أهل للمناقشة، أي أن نأخذ بعين الاعتبار مسألة السياق والمقام، فلكل مقام مقال كما يقال.

د- القاعدة المتعلقة بالهدف والغاية من الحوار، فالمناقشة ينبغي أن تجري بنية الوصول إلى الحق، وأن يكون هناك تعاون حوارى فعلي من أجل تحقيق هذا الهدف المنشود والغاية المرجوة. (العزاوي، ٢٠١٤)

٤.٢ النموذج الرابع: محاورته للمسلمين:

من محاوراته لبني وطنه حوار مع مندوب الشّيخ سعيد بيران حين جاءه يدعوه للمشاركة في الثورة ضدّ سياسة مصطفى كمال أتاتورك العنصرية وإقصائه للأكراد، وهذا لإعادة الخلافة فقال له الإمام التّورسيّ -رحمه الله- في حوار:

- قال التّورسيّ: ومن ستحارب؟
- حسين باشا: سنحارب مصطفى كمال.

- سعيد النورسي: ومن هم جنود مصطفى كمال؟
 - حسين باشا: إنهم جنود!
 - سعيد النورسي: إن جنوده أبناء هذا الوطن، هم أقربائك وأقربائي فمن تقتل؟ ومن سيقتلون؟ فكّر وافهم. إنك تريد أن يقتل الأخ أخاه.
- هكذا يخاطب النورسي الكردي - رحمه الله - حسين باشا الكردي عن الأتراك في زمن عانى فيه الأكراد من ظلم الأتراك وبطشهم. انظر معي وتأمل هذا النموذج المثالي لكيفية التعامل مع الأزمات وتقدير الأمور ووضعها في نصابها الحقيقي بحدوء وحكمة دون الانسياق وراء العواطف والأهواء وما تمليه رغبات العامة من المسلمين. فأني صفاء هذا.
- (الصالح، ١٩٨٧)

إذن في خضم هذه الحالة المزريّة التي يعيشها العالم الإسلامي آنذاك والتحوّلات التي مسّت نظامه السياسي والاجتماعي والثقافي والعقدي، لم يخف النورسي رغبته الدائمة في تجسيد طريقة الحوار كنموذج أمثل للوصول بهذا العالم إلى برّ السّلم والأمان والاستقرار، وهي ركائز وأسس دعا إلى توفيرها وتعميقها وتثبيتها الإسلام وجميع الأديان السماوية ولم يشدّ عنها دين سماوي قطّ. وهذا باللجوء إلى أسلوب الإقناع والحجاج والاستدلال، بالدعوة إلى اعتماد قوة المنطق لا منطلق القوة لأن الإسلام دين الحوار والحجاج والإقناع، لا دين الإكراه والعداء وهو ما نجده في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١٨) [البقرة آ ٢٥٦]، و"لا" الوارد هنا هي "لا" النافية وليست الناهية كما ذهب إلى ذلك علماء كثيرون منهم سعيد رمضان البوطي وجودت سعيد وغيرهما.

٥.٢ النموذج الخامس: الحوار الداخلي:

اشتملت "رسائل النور" و"المثنوي العربي النوري" بوجه خاص إلى جانب هذه الحوارات التي أجراها النورسي مع الآخر المختلف معه ثقافيا أو فكريا أو عقديا، على أنماط أخرى من الحوار. منها محاوراته لنفسه من خلال تأملاته... في مسعى دائم لتقويم الذات ومراجعة النفس بهدف النقد الذاتي. هنا نستطيع القول إن شخصيته تمثل الشخصية الدينية للطرف الثاني للحوار الذي يرغب من خلال المحاورّة الذاتية لتثبيت معتقداته وأفكاره من جهة ومحاربة النفس والهوى من جهة ثانية. لذلك يمكن اعتبار "المثنوي العربي النوري" محاورّة ذاتية تقمص خلالها النورسي دور الشخصية المصلحة الساعية دوما إلى تغيير في "الأنا" وفي "الذات" وفي "سعيد" وفي "الإنسان" وفي "القلب". (النورسي، كليات رسائل النور - اللغات، ١٩٩٤) وفيما يلي بعض نماذج من هذه المحاورات:

أ- محاورّة الأنا:

يقول:

١: "اعلم يا أنا المتمرّد المغرور المتكبر، انظر إلى درجة ضعفك وعجزك وفقرك ومسكنتك..". (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

٢: "اعلم يا أنا إذا كان نفسك أحبّ إليك، لأتّما أقرب إليك من كلّ شيء، فلا بدّ أن يكون ربك أحبك إليك منك، إذ هو أقرب إليك من نفسك" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

٣: "وأما أنت أيّها المرتدّ إن أنكرت محمدا عليه الصلاة والسلام وآثاره لا يمكن لك قبول واحد من الأنبياء، بل ولا قبول ربّك، بل ولا قبول شيء من الكمالات الحقيقية" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

ب- محاورّة النفس:

يقول:

١: "اعلمي يا نفسي، إن أرضيت خالقك بالتقوى والعلم الصّالح، كفك إرضاء الخلق. فإن رضوا منك بحسابه تعالى فنافع، وبحساب أنفسهم فلا فائدة. إذا هم عاجزون مثلك. فإن أردت الشق الأوّل فارض ربّك، وإن أردت الثاني أشركت بلا فائدة" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

٢: "اعلمي أيّتها النفس الأمّارة، إنك متهمّة في أحسن مطالبك..." (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

٣: "اعلمي أيّتها النفس العاشقة لنفسها، المستندة على ظهور وجودها إنك اكتفيت بقطرة سراب عن بحر الحياة، وبلعمة ضعيفة في ليلة مدلّمة عن الشمس في رابعة النهار. أما ظهور وجودك بالنسبة إلى ظهور وجود فاطرك، فكنسبة عدد نفسك الواحدة، إلى ضرب جميع المجودات في ذراتها" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

ج- محاورّة القلب:

يقول:

١: "اعلم يا قلبي أنّ لذائذ الدنيا وزينتها بدون معرفة خالقنا ومالكنا ومولانا ولو كانت جنة، فهي جهنم" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

٢: "اعلم يا قلبي إنّ كلّ ما يجري في هذه الدنيا له وجهان: وجه إلى الدنيا والنفس الهوى، ووجه إلى الآخرة. فأما الوجه الدنيوي فأعظم الأمور وأثقلها وأثبتها هو في نفس الأمر بدرجة الصغر والخفة والزوال، بحيث لا يساوي ولا يوازي ولا يليق لأن يُشوّش له القلب (بالمرق) والتضجر، والتألم وشدة التأمل" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

٣: "اعلم يا قلبي أنّ الأبله الذي لا يعرف الشمس إذا رأى في مرآة تمثال شمس، لا يحب إلا المرأة ويحافظ عليها بحرص شديد لاستبقاء الشمس، وإذا تفتّن أنّ الشمس لا تموت بموت المرأة ولا تفتن بانكسارها..." (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

د- محاورّة الإنسان:

يقول:

١: "أيها الإنسان أخذت أجرتك؛ إذ صنعتك هكذا في أحسن تقويم. ثمّ تعرّف إليك بإعطاء الإيمان. نعم، كما أنه بإعطاء المعدة أنعم عليك بجميع المطعومات ... وإعطاء محبته فتح لك ومنحك ما لا يوصف، فإذا أخذت مثل هذه الأجرة، فعليك بالخدمة. فإذا أعطاك بعد العمل نعمة أخرى فما هي إلّا من محض الفضل" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

٢: "اعلم أيها الإنسان أنك ثمرة أو نواة لشجرة الخلقة، فبجسمانيتك أنت جزء صغير ضعيف، عاجز ذليل، مقيد محدود. لكن الصانع الحكيم رقاك بلطف صنع من الجزء الجزئي إلى الكل الكلي" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

٣: "اعلم أيها الإنسان ﴿ما غرّك بربّك الكريم﴾ [الانفطار، آ ٦٠] الذي يشتري منك ملكه الذي عندك أمانة ليحفظه لك من الضياع... ويعطيك بدله ثمنا عظيما" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

هـ- محاورّة سعيد:

يقول:

١: "اعلم أيها السعيد الشقي، ما هذا الغرور والغفلة والاستغناء؟ ألا ترى أن ليس لك من الاختيار إلّا شعرة، وليس من الاقتدار إلّا ذرّة، وليس من هذه الحياة إلّا شعلة تنطفئ، وليس من العمر إلّا قليل مثل دقيقة تنقضي... فمن كان بهذه الحالة من العجز، وفي هذه الدرجة من الحاجة، هل يتوكل على ما في يده و يعتمد على نفسه... أو يتوكل على الله الرحمان الرحيم" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

٢: "اعلم أيها السعيد المسافر إلى الشيب، إلى القبر، إلى الحشر، إلى الأبد. إنّ ما أعطاك مالكك من العمر لتحصيل لوازمات الحياتين بقدر الطول والقصر، قد ضيعته كله في هذه الحياة الفانية التي هي كقطرة سراب بالنسبة إلى البحر، فإن كان لك عقل فاصرف نصفه أو ثلثه لا أقلّ عشره للباقية، ومن العجائب أن يقال لمثلك من أحق الناس هو: عاقل ذو فنون" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

٣: "اعلم أيّها السعيد أنّ السعادة في التوكل، فتوكل على الله لتستريح في الدنيا وتستفيد في الآخرة" (النورسي، المثنوي العربي النوري، ١٩٩٤).

تحليل النماذج:

من خلال النماذج السابقة يمكن القول إن الحوار الداخلي عند النورسيّ يهدف بالأساس إلى محاولة بناء الذات، وهو حوار واعي يديره بينه وبين نفسه محاسبا ومقيّما، في لحظات هدوء وبعيدا عن المواقف الانفعالية. وكان يتمّ في الغالب أثناء فترات الخلوة، خصوصا في أيام السجن، حيث كانت الأنا النورسية الأنيس الوحيد والمحاوّر المثالي. وكأنّ بالنورسيّ جرّد من نفسه ذاتا ثانية نزلها منزلة المعترض على دعواه، وهنا كان مجبرا على عدم الاكتفاء بالنظر في فعل إلقاء الحجج والبراهين إلى المخاطب، والوقوف عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما تقتضيه من شرائط، بل تعدّى ذلك

إلى النّظر في فعل التلقّي باعتباره هو نفسه أوّل متلق لما يلقي، فبني أدلته على مقتضى ما يتعيّن على المستدلّ له (الأنّا، القلب، سعيد... كما في النماذج) أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبّلها واقتناع المخاطب بها.

وهكذا، فإنّه يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيق بينه وبين نفسه، مراعيًا فيه كلّ مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية، حتّى كأنّه عيّن المستدلّ له في الاعتراض على نفسه. (الرحمان، ١٩٩٨)

ونحن إذ نقول إنّ المرء يكون في حالة حوار مع نفسه، فإنّما يكون هذا تجوّزا بعض الشيء؛ إذ في واقع الأمر أنّ المحاور هنا عادة تكون مع "الضمير"، والضمير ليس شأنًا ذاتيًا محضًا، وإنّما هو جملة المعايير والتوجهات التي ترسبت عبر الخبرة الاجتماعية والذاتية، وما تعلمه المرء وآمن به من توجهات العقيدة الدينية وأوامرها. فكأنّ العقيدة، والمجتمع، قد أنابا عن نفسيهما من يمثلهما داخل شخصية الكاتب، يبصرانه بما يجب وما لا يجب. (علي، ٢٠٠٨) مقتفيا في ذلك النهج القرآني الذي يعتمد في إصلاحه العام على تهذيب النفس الإنسانية قبل كلّ شيء، فقد خلق الله عز وجلّ في الإنسان قوتين؛ قوة تتسم بالطيبة، تهفو إلى الخير، وتسر بإدراكه، وتأسى للشرّ، وتخزن من ارتكابه، وترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتها، وقوّة لها نزعات طائشة، تشرد بها عن سواء السبيل، وترين لها فعل ما يعود عليها بالضرر، ويهبط بها إلى منحدر سحيق.

ولذا فلنكي يستقيم أمر الإنسان، لا بدّ له من حوار داخلي؛ حوار بين القوتين. وعندما ينتهي الحوار بين القوتين الداخليتين في الإنسان إلى التوجّه نحو ما يتفق مع الدّين والمصلحة العامة يطمئن القلب، وتهدأ النفس.

وهكذا، فمن خلال هذا النوع من الحوار بالإمكان الوقوف رويدا رويدا على جانب مهم من شخصية النورسي، وعلى بيان حالته المعنوية، وانطوائاته النفسية، فالحوار يتكفل في هذا المستوى، بكشف الخلجات النفسية للشخصية، يتجلى هذا في الإيحاءات والظلال التي تنتجها الألفاظ والتراكيب المستخدمة في الحوار.

كما يكشف الحوار الداخلي مع النفس، عن طبيعة التأمل لديه، وعدم رضاه عن نفسه، مما يجعل المتلقي يشعر أنه يستبطن عقل الشخصية الإيجابية التي تعمل على مراقبة ذاتية مستمرة، من خلال رصد المستوى العميق للمخاطب.

إن فعالية الحوار تتوافر على قدرة إقناعية غير محدودة انطلاقًا من القواعد التي تحاول التداوليات ضبطها من أجل طلب الوضوح في فهم آليات التواصل وتحسين أداء الحوار عن طريق اصطناع منطق الإقناع والإتيان بالحجة وتغيير الذهنيات وتلاقح الأفكار وترقية الشراكة الإنسانية من التدافع إلى التعاون والتكامل.

وإذا جاز الاعتقاد أنّ "الحوار" يستند إلى نماذج تنتمي إلى المجال التداولي، جاز معه أنّها تسلك من سبل الاستدلال ما هو أوسع وأغنى من بنيات البرهان الضيقة، كأن يعتمد "المحاور" في بناء النص الصور الاستدلالية مجتمعة إلى مضامينها أوثق اجتماع، وكأن يطوي الكثير من المقدمات والنتائج، وأن يسوق الدليل على قضية بديهية أو مشهورة، كل ذلك لأنّه يؤخذ بمقتضيات الحال من معارف مشتركة ومعتقدات موجهة ومطالب إخبارية وأغراض علمية.

واللباس الحواري تتحد على مستواه صحة الاستدلال بإمكانية تحصيل المدعي على طريقة مشروعة لإلزام المتحاور أو المتحاورين، وهو ذلك المجموع الذي يريد المتكلم التأثير فيهم بواسطة حجاجه؛ أي مجموع الأشخاص الذين يراهم الخطيب أمامه وهو يلقي بخطبته مراعيًا في ذلك أحوالهم وأقدارهم ومراتبهم وهم يتحاورون معه؛ بهذا فالمستمع شريك واقعي للحوار. وهذا يتجسد بشكل أكثر دقة في مقام حوار ذاتي، حيث يتسنى للشخص أن يختار حججه بشكل موجّه ومؤثّر.

٦.٢ النموذج السادس: الحوار البيداغوجي:

وهو حوار تعليمي كان يجريه النورسي مع طلابه وهو عبارة عن مجموعة مكاتيب جرت بين النورسي - رحمه الله - وطلابه الأوائل. وطابعها العام توجيهي إرشادي يبين أهمية رسائل النور، ومنهجها في الدعوة إلى الله في هذا العصر. تكتنفها مكاتيب ودّية يبين فيها الطلاب مدى استفادتهم الروحية من رسائل النور، واستفادتهم العقلية منها، وكيف أتحا حوّلت مجرى حياتهم، وفتحت أمامهم آفاقاً معرفية واسعة. وتتضمن أيضاً توجيهات لتقويم السلوك وكيفية التعامل مع الآخرين، والحثّ على الإيمان العميق والعمل المتواصل والترابط الوثيق والاعتصام بالكتاب والسنة، مع التأكيد على العبادة وشحن القلب بالذكر والدعاء والتفكير الإيماني، ودوام الاستغفار والانطراح بين يدي المولى القدير عاجزاً فقيراً، وأمثالها من الأمور التي تهمّ كل داعية إلى الله، بل كل مسلم. كما دعاهم إلى الاتّسام بالوسطية والاعتدال عند مناقشة آراء الآخرين وأعطاهم في ذلك نموذجاً للفكر المعتدل الذي به أسّس للبشرية تصوّراً رفيعاً مشتركاً لبناء علاقات اجتماعية تسودها المحبة والسلام والألفة والأخوة، وتكون هي السقف التربوي التي يعول عليها الإنسان بشكل عام ليحيا في أمن وطمأنينة وسلام. فهو إذ يناقش آراء الآخرين لا يرميهم بالضعف أو الجهل، وإنّما يحفظ كرامة مخالفيه، ومثال ذلك عندما سأل عن فكرة الوجود عند الإمام محي الدين بن عربي، قال النورسي - رحمه الله -: "إنّك يا أخي بسؤالك هذا تضطريني إلى أن أناقش - وأنا الضّعيف العاجز - فارقة الحقيقة وداهية علم الأسرار محي الدين بن عربي، ولكن لما كنتُ سأخوض في البحث معتمداً على نصوص القرآن الكريم، فسوف أستطيع أن أحلّق إلى أعلى من ذلك الصّقر وأسمي منه وإن كنتُ ذباباً"، ثمّ يقول: "اعلم أنّ محي الدين بن عربي لا يحدّد ولكنه يندد، فهو مهتدٍ ولكنّه لا يكون هادياً لغيره في كلّ ما كتبه، فما رآه صديقاً وصواباً ولكن ليس هو الحقيقة" (النورسي، كليات رسائل النور - اللغات، ١٩٩٤).

فهو لم يرمه بسبب فكره هذا بكفر أو زندقة أو فسوق، ولا يتجاهل سعة علومه وعمق أفكاره وعلو مقامه. وإنّما يريد توضيح وجه الصّواب والحقيقة الشرعية في هذا الشأن دون المساس بشخص ابن عربي أو التقليل من شأنه. ملتزماً ضوابط اللياقة والأدب دون تجريح أو اتّهام، وهذا سلوك العلماء الرّبّانيين العاملين - على عكس ما هو سائد في هذا الزّمان الزّمن ممن ديدهم رمي من يخالفهم بكلّ نعوت النّقص -. يقول: "ولما كان الشّيخ قد انتهج مسلكاً مستقلاً، وكان صاحب مشرب مهم وله كشافات ومشاهدات خارقة؛ فإنّه يلجأ باضطراب إلى تأويلات ضعيفة وتكلّف وتمحّل ليطبّق بعض الآيات الكريمة حسب مشربه ومشهوداته، ممّا يخذل صراحة الآية الكريمة ويجرحها (...). فالشيخ ابن عربي له مقام خاص لذاته، وهو من المقبولين، إلّا أنّه بكشفيّاته التي لا ضوابط لها، خرق الحدود وتجاوزها وخالف جمهور المحقّقين العلماء في كثير من المسائل" (النورسي، كليات رسائل النور - اللغات، ١٩٩٤). (العزاوي، ٢٠١٤)

٣. خاتمة:

إنّ "رسائل التّور" بشكل عام و "المنثوي العربيّ النوريّ" على وجه الخصوص (ي)تشكّل مرجعًا هامًا لتحقيق فكرة الحوار بين الأفراد والجماعات والحضارات، وتعايش الهويات الثقافية المتعددة، إذا كان هذا الحوار مستندًا على القواعد الإيمانيّة والقيم الرّوحيّة التي دعا إليها المفكر الإسلاميّ بديع الزّمان سعيد بن محمد النّورسيّ -رحمه الله- في رسائله، خاصّة قيم التّسامح والمحبة والسّلام التي تنشدها الإنسانيّة قاطبة. وحيث يكون التعدد الثقافي والتنوع الحضاري والاختلاف الفكريّ تكون الحاجة ماسة إلى الحوار والتواصل والإقناع. وتعدد الثقافات واللغات والمجتمعات تتعدد أوجه الفاعلية وتعدد قنوات التأثير.

إن النّورسيّ يدعو إلى الحوار المضبوط والتسامح المشروع والتعاون المقبول. فالتسامح في غير سياق الحرب محبوب، والتواصل من موقع الندية والتكافؤ مطلوب، إنه رجل الحوار والإقناع والحجاج.

٥. قائمة المراجع:

- ١- العزاوي، أبو بكر، (٢٠٠٤)، النورسي رجل الحوار والإقناع، أو فصل المقال فيما بين الحوار والحجاج والاختلاف من اتصال، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، إستانبول، تركيا.
- ٢- الصّالحي، إحسان قاسم، (١٩٨٧)، بديع الزّمان النّورسيّ - نظرة عامة عن حياته وآثاره، دار سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا.
- ٣- النّورسيّ، بديع الزّمان سعيد ميرزا، (١٩٩٤)، المنثوي العربيّ النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصّالحي، ترجمة: إحسان قاسم الصّالحي، دار سوزلر، إستانبول، تركيا.
- ٤- النّورسيّ، بديع الزّمان سعيد ميرزا، (١٩٩٤)، كليّات رسائل التّور، اللّمعنات، ترجمة: إحسان قاسم الصّالحي دار سوزلر، إستانبول، تركيا.
- ٥- النّورسيّ، بديع الزّمان سعيد ميرزا، (١٩٩٤)، كليّات رسائل التّور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصّالحي، دار سوزلر، إستانبول، تركيا.
- ٦- النّورسيّ، بديع الزّمان سعيد ميرزا، (١٩٩٤)، آثار بديعيّة، تحقيق: إحسان قاسم الصّالحي، دار سوزلر، إستانبول، تركيا.
- ٧- - النّورسيّ، بديع الزّمان سعيد ميرزا، (١٩٩٤)، كليّات رسائل التّور، إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصّالحي، دار سوزلر، إستانبول، تركيا.
- ٨- إسماعيل علي، سعيد، (٢٠٠٨)، الحوار منهجا وثقافة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر.
- ٩- عبد الرحمن، طه، (١٩٩٨)، اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.